شهرية السينما

حول السينما المصرية

نشرت مجلة « ليكران فرانسيه » *l'Ecran Français* التى تصدر فى باريس مقالا عن السينما المصرية تحت هذا العنوان : « الأفلام المصرية : جرائم ، اغتصاب ، رقص ، غناء » .
وقد آثرت أن أتحدث عن هذا المقال لما فيه من حقائق حيناً وأخطاء وتضليل أحيانا . يبدو لمن يقرأ العنوان أن كاتب المقال على إلمام تام بحال السينما المصرية لأنه تمكن أن يميز إنتاجنا السينمائى بأربع كلمات . فملخص قصص أفلامنا هو حقا : جرائم ، اغتصاب ، رقص ، غناء .

ويبتدئ الكاتب مقاله بوصف منظر فى أحد ستوديوهات القاهرة : فيحدثنا عن زهور بالية وتماثيل مترية تدل على ذوق غير سليم واضطراب لا حد له بين الممثلين والمصورين والمخرجين ؛ ثم عن الفتاة الأولى وقد علت وجهها المساحيق فى مزاج غريب ، وعن الأثاث البالى الذى يشمله المنظر .

وقد يكون كاتب المقال على حق حينما يتحدث عن تماثيل تدل على ذوق غير سليم ، أو عن الممثلة الأولى التى لطخت وجهها بالمساحيق . فالذوق فى أفلامنا إن لم يكن معدوما تماماً ، فهو لا يجد إلى الترف سبيلا . أما عن الماكياج فهو لا يزال بدائيا جدا . فممثلونا حتى الآن يغالون فى وضع المساحيق حتى لقد نلمس فى الصورة هذه المغالاة ، مع أن فن الماكياج الآن قد أخذ يميل إلى الاعتدال . ويوجد الآن فى أمريكا من يدعو إلى استعمال المساحيق لابراز ملامح الممثل فحسب .

ويحدثنا الكاتب بعد ذلك عن أفلامنا فيقول إنها أفلام « سقيمة ذات موضوعات عجيبة تكثر فيها حوادث الاغتصاب والقتل والأغانى والرقص ، وذات حوار زرى ضعيف » . وربما كانت أفلامنا تميل إلى تصوير حوادث الاغتصاب والقتل وخاصة أفلام يوسف وهبى بك الذى يقيس قوة القصة وجودتها بعدد الجثث

التى تجمع بعد انتهاء التمثيل . فليس ثمة مأساة تساق إلينا فى الأفلام إلا مأساة فتاة زلت فلفظها المجتمع ، ثم تقضى العمر دون أن تجد إلى الغفران سبيلا . ولكن هناك قليلاً من أفلامنا تبتعد عن هذه المآسى المضحكة لكثرة ما فيها من العنف ، وتجنح نحو التصوير الخلقى للمجتمع المصرى وعيوبه وطرق إصلاحه ، مثل أفلام نجيب الريحانى الذى يعترف له كاتب المقال بمقدرته فنانا . ولكن حتى هذه الأفلام لا تخلو من الرقص والغناء الذى يدخل على حوادث القصة دون مسوغ . فتجد الفتاة الأولى أو الفتى يغنى كلما احتاج إلى أن يعبر عن شعوره . فيغنى حين يكون سعيداً ، ويغنى حين يكون حزينا ، ويغنى أحيانا حين لا يكون سعيداً ولا حزينا ، وإنما يُدفع إلى الغناء دفعاً بقوة خارجة عن الطبيعة ، مع أن المخرج أو كاتب القصة يعلم ما تفقد المأساة من قوتها وحسنها بهذا الغناء أو هذا الرقص الذى يقف الحوادث ولا يساهم فى تطورها . وإذا كان المونولوج الذى يلجأ إليه كثير من مؤلفى المسرحيات ليتيحوا لشخصياتهم أن تعبر عن شعورها وتحللها يزرى بقوة مسرحياتهم ويحد من تسلسل حوادثها ، فالغناء فى الأفلام يزرى بالقصة أكثر من المونولوج لأنه لا يحلل شيئاً ولا يعبر عن شيء ، وإنما وجد ليستر ضعف القصة والحوار .

أما الجمهور المصرى فيقول عنه الكاتب الفرنسى إنه مكون من الطبقة الموسرة من المسلمين ؛ لأن أسعار الدخول فى قاعات العرض مرتفعة جداً . فطبقة العمال والفلاحين لا يعرفون جريتا جاربو أو كلارك جيبل . أما الموظفون والطلاب والطبقة الموسرة — وهم الذين يكونون الأقلية المثقفة — فلا يعرفون عن السينما الفرنسية إلا سيفان فيفيان رومانس ، وأسنان فرننديل الناصعة البياض ولا يعرفون عن السينما الأمريكية إلا ثديى بيتى جريبل ، وعن السينما الانجليزية الا ميلودرام « الرجل ذو الرداء الرمادى » . وإذا كان الكاتب على حق فيما قاله عن قصص الأفلام المصرية أو عن فن الماكياج ، فهو فيما يقوله عن الجمهور المصرى مخطئ كل الخطأ . وربما كان هناك ما يدفعه إلى ذلك . فالجمهور المصرى يعد بينه طبقة مثقفة تزدرى بتى جريبل وتنفر من أفلامها وتمثيلها ، وتقدر فيفيان رومانس كما تيسرها التمثيل الحسن ، وتسعى لمشاهدة

أفلام فرننديل للهو والترفيه ، وتمتنع عن مشاهدة أفلام ريتا هيورث التى لا تفرق بين التمثيل والتهتك . نعم إن هناك طبقة أخرى لا تسمح لها ثقافتها أن تميز بين الفن الحقيقى والفن المزيف . فكان على الكاتب أن يظهر هاتين الطبقتين ويفرق بينهما وألا يخلط بين هذه القلة المثقفة وسواد الجمهور الذى تعوزه الثقافة . وهو مخطئ أيضاً حينما يقول إن العامل المصرى لا يعرف جريتا جاربو أو كلارك جيبل . فالعامل المصرى يشهد الأفلام الأمريكية كما يشهد الأفلام المصرية . فهو الآن فى مرحلة تطور تجعله يطلب حظا ولو ضئيلا من المعرفة ؛ فهو يميل إلى المطالعة وإلى الذهاب إلى السينما والمسارح والاستماع إلى الراديو .

ويضيف الكاتب بعد ذلك : إن الأفلام المصرية قدمت إلى هذا الجمهور المسلم ذى العقلية الطفلية طعاماً ملائماً له . واقترحت الحكومة أمام الانتاج المصرى الضخم أن تنقص عدد الأفلام الأجنبية التى تخص مصر ، فترتب على ذلك أن ثار مديرو قاعات العرض وقاطع المصريون الأفلام الأجنبية وألقيت قنبلة فى إحدى قاعات العرض الكبرى . ولست أرى ما نؤاخذ به الحكومة المصرية إذا أرادت أن تشجع الانتاج المحلى كى تتيح له النهوض بواجبه .

وجاء فى المقال أيضاً : لقد لاقت الأفلام المصرية رواجاً كبيراً فى الشرق الأوسط ، إلا أن قيمتها الفنية ضئيلة جدا . والمشرفون على شئون السينما بدل أن يحاولوا تثقيف الشعب وتكوين ذوقه ، يقدمون له قصصاً خرافية ، ودراسات معقدة تنتهى بأعجوبة فى نهاية الشريط . والكتاب موقنون أن قيمة الفيلم تقاس بجمال طلعة الفتى الأول فيهملون السيناريو الذى يضعونه ويقدمون لنا صورة خاطئة من مصر كما يفعل وضعاء كتاب السيناريو فى هوليوود .

وقد حلل الكاتب قصة فيلم « ضربة القدر » التى وضعها وكتبها وحققها ومثلها يوسف وهبى بك . وهى قصة ضعيفة لقيت نجاحاً كبيراً . ثم يتحدث عن « السوق السوداء » فيقول عنها إن الفيلم جيد جداً ولكنه لم يرق الجمهور لأن كثرة هذا الجمهور تعيش من تلك السوق . أما عن المخرج التلمسانى فهو يعتبره فناناً جديراً بهذا الاسم يصطنع دقة فى الاخراج تنفر منها الكواكب المصرية . وقد تحدثت

فى غير هذا العدد عن بعض الأفلام المصرية من حيث القصة ، وتكلمت عن الفنانين الذين يعتقدون أنهم قادرون على التأليف والتحقيق والاخراج والتمثيل فى وقت واحد وما لذلك من أثر سيئ فى إنتاج الأفلام . لأنه إذا كان ثمة فنان أو فنانان فى عالم السينما يستطيعان أن يقوما بهذه المهمات كلها فهذا لا يعنى مطلقاً أن أى شخص يمكنه القيام بها . إذا كان شارلى شابلن وأرسون ولز تمكنا من وضع السيناريو وإخراجه وتمثيل دور فيه ، فهذان عبقريان لا يوجدان إلا فى القليل النادر . وأعتقد أن مثل هذه العبقرية لم تتح لمصر إلى الآن وهى حديثة عهد بصناعة السينما .

ثم ينتقل الكاتب بالحديث إلى فن التمثيل نفسه فيقول : إن كواكبنا يغالون فى إيماءاتهم ويغنون ويرقصون فى كل مناسبة وفى غير مناسبة ، ويعبرون عن شعورهم بأصوات مرتعدة . وهنا لا يسعنى إلا أن أنقل ماقيل عن الأفلام المصرية فى مهرجان كان . لقد رأوا أن صناعة الأفلام المصرية ، صناعة بدائية ، وأن الممثلين ينهجون فى تمثيلهم منهجاً مسرحيا محضا . ويؤسفنى أن أعترف هنا أنهم لم يغالوا فى حكمهم هذا ، فأسماء الممثلين السينمائيين لم تتغير منذ عشرين سنة : فمنذ نشأة المسرح ونحن نسمع هذه الأسماء . ورأينا السينما حين أنشئت تعيد علينا الأسماء نفسها .

وهذا الاهمال يقع على عاتق المنتجين والمخرجين ؛ إذ هم لايعبأون باكتشاف مواهب جديدة . وإذا حاولوا أن يهيئوا الفرص لاظهار وجوه جديدة ، فهم يؤثرون وسامة الطلعة وأناقة الملبس على المواهب الحقيقية . وقد يحدث أن يكون الفتى الأول الجديد ذا مواهب ، فلا يكلف المخرج نفسه عناء إرشاده وتدريبه حتى يتيح لهذه المواهب أن تصقل .

وأخيراً لا يسعنى إلا أن أنقل خاتمة هذا المقال الفرنسى وما جاء فيه من نصح مفيد وإرشادات صالحة :

« من المحتمل أن يزداد الانتاج السينمائى المصرى ، ولكن ليستفيد منه سواد الجمهور لا بد أن يزاد عدد قاعات العرض ، وأن يخفض ثمن الدخول فيها ؛ وليتثقف لا بد أن يقدم له أفلام أجود صناعة وأرفع فنا . إن السينما المصرية فى حاجة إلى بعض الفنيين الأجانب وإلى إرسال البعثات إلى أوربا وأمريكا للتخصص فى فن السينما وإلى تغيير آلاتها وعددها ، وإلى أن تستمد من الأدب الشعبى

الغنى موضوعات أكثر طرافة من الموضوعات التى نشاهدها الآن . أما الشركات الأجنبية فعليها ألا تعد الشرق أرضا صالحة لاصدار الأفلام السقيمة . »

ونرى من هذا المقال أننا فى ميدان صناعة السينما متخلفون عن الأمم الأخرى ، وأن هذه الأمم على إلمام تام بحالنا المزرية . ولست أرى مخرجاً لهذا مادام هذا الفن بين أيدى أناس لا يعبأون إلا بأن يزيدوا من أرباحهم ، وممثلين اتخذوا من التمثيل مهنة مربحة ، وكتاب يستغلون سذاجة جمهورنا ، ومخرجين لا يقوسون بمهمتهم الفنية .

لقد شهدت أفلام موسمين متتاليين فلم ألمس أى تقدم فى تلك الأفلام : قصص مملة ، و إخراج مهمل ، وتمثيل مسرحى مضحك . و إذا استمرت هذه الحال فى مصر مات فيها الفن السابع كما مات المسرح .

وليعلم المشرفون على شئون السينما فى مصر أن هناك أمما عربية — أم إفريقية الشمالية — جادة فى إخراج أفلام ستجتاح السوق الشرقية وتحد من ميدان توزيع أفلامنا .

رشدى كامل